الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤–١٦؛ ١:٥–٦)

يا إخوةُ، إذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ الله، فَلْنَتمسَّكْ بالإعتراف* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لأوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَة* فلنُقبِل إذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننال رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أوانها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعب* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ كما دَعا هرون* كذلكَ

ذبيحة التسبيح

في القدّاس الإلهي، بعد أن يتلو الكاهن كلمات العشاء السرّي، التي بها أسّس ربنا المسيحُ سرّ الشكر، يرفع الخبز والخمر المُقَدَّمَين ويهتف: «التي لك مما لك نقدّمها لك عن كل شيء ومن جهة كل شيء». وللفَور، بعد هذا الإعلان، يتلو الكاهن دعاء استدعاء الروح القُدُس على القرابين، لتتمّ بذلك استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الإلهيّين. جماعة المؤمنين بفم الكاهن تقول «التي لك مما لك» إذ هي تقدّم لله ما هو له أصلاً. فتقديم القرابين كما سائر أشكال العبادة لا يجوز إلا لله. أما الخبز والخمر ففيهما شكل من أشكال الاشتراك الحيوي بين عطايا الله وجهد الإنسان: القمح والعنب هما من نتاج الأرض وترتيب الفصول، أي من ثمار الطبيعة كما وهبها الله، وبعمل الإنسان يصيران خبزاً وخمراً. العالم بكل ما فيه هو هبة من الله للإنسان مملوءة خيرات وبركات، وقد ميز الله الإنسان بكل ما يلزمه من مواهب لا ليحسن العيش في العالم وحسب بل ليقدّسه أيضاً. نحن نقدّم على مذبح القداس الإلهي خبزاً نقياً وخمراً صافياً والله يصيّرهما جسد ابنه الوحيد ودمه الإلهيين والمُحييين. نحن نقدّم إلى الله، كتعبير عن اعترافنا بفضله وشكرنا لمحبته، ممّا هو له إذ إننا لا نملك ما يمكننا أن نقدّمه إزاء عظمة محبة الله سوى الشكر والعرفان ذبيحة. بمعنى آخر، هبة محبة الله للإنسان تعود إلى الله، من الإنسان، ذبيحة تسبيح.

ذبيحة الشكر والتسبيح هذه لا تقتصر على تقدمة الخبز والخمر في القداس الإلهي. الإنسان، متى اعتمد بالمسيح، يصبح كما يقول القديس مكسيموس المعترف «كاهناً كونياً» غايته أن يُقدّس العالم المادي الذي يعيش فيه ويرفعه إلى الله قرباناً طاهراً. قد يبدو هذا الكلام للبعض لاهوتاً مُعقداً أو تنظيراً غير واقعي. لكنّه في الحقيقة العكس تماماً. كل من اعتمد بالمسيح صار بحكم معموديته لابساً المسيح أي إنه صار قادراً أن يشكّل امتداداً للمسيح أينما كان. أياً كانت مهنته أو وظيفته أو دعوته أو نمط حياته، يكفيه أن «يكفر بنفسه» ويتبع المسيح، أي أن يسلك لا بمقتضى مشيئته الذاتية بل بمقتضى إنجيل المسيح، ليصبح كل ما يعمله أو يحياه مقدَّساً، وتالياً

العدد ٢٠١٥/١١

الأحد ١٥ آذار

الأحد الثالث من الصوم

(أحد الصليب الكريم)

تذكار الشهيد أغابيوس ورفقته

اللحن السابع

إنجيل السَحَر السابع

«ذبيحة تسبيح» وشكر لله. لا شيء في هذه الدنيا ليس قابلاً للتقديس لأنّ كل ما خلقه الله حسنٌ.

يبدأ الإنجيل المتلو في الكنيسة هذا الأحد بقول السيد: «من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه...». الدعوة هنا ليست انتقائية، بل تأكيد على أهمية القرار الحُر والخيار الشخصي «الكياني» في اتّباع المسيح. في إنجيل مرقس، الذي منه يأتي هذا النص، يخاطب الرب يسوع «الجمع مع التلاميذ»، وهذا الجمع المتحلّق حول التلاميذ هم المؤمنون، أي كل إنسان اعتمد بالمسيح، على امتداد التاريخ. عبارة «من أراد أن يتبعني» هي إذاً أمدّ من الزمن، أبعد من الذين سمعوها بآذان الجسد في ذاك اليوم، ولها شرطها: «فليكفر بنفسه...». أما إنكار النفس فيعني ألّا يبقى الإنسان، متى أراد أن يتبع السيد، أسير غريزته البشرية التي تؤلّه الـ«أنا»، وألاّ يبقى منتمياً إلى ذاته، وإلى الدنيا التي يرى فيها، لمحدودية بصيرته، تحقيق ذاته، أن يلقي عن «نفسه» ذاك الخضوع لنواميس دنياه، والمقنّع زيفاً بحاجة إلى التكيّف من أجل البقاء. بمعنى آخر يقول السيد اليوم لسامعه إنّك إن أردت أن تتبعني (أي أن تتمثّل بي وتسلك بحسب وصاياي) عليك في البدء أن ترفع إلي مشيئتك ذبيحة، وأنا أقدّسها، فإما أنا وناموسي وتالياً الحياة التي أعطيك، وإما نفسك.

في ذبيحة القداس الإلهي، وفي «ذبيحة التسبيح» حيثما عشناها في حياتنا، نحن لا نقدّم لله مجرد تقدمات مادية بل المسيح نفسه. «التي لك مما لك نقدّمها لك». فكما أن القرابين، الخبز والخمر، الموضوعة على مائدة القداس الإلهي، تحمل في الوقت عينه شكرنا لله على محبته وعطاياه في الخليقة الأولى وعلى خلاصه المُعطى لنا بالمسيح، كذلك سلوكنا بمقتضى الإنجيل يجعل كل ما نعمله ونحياه «ذبائح روحية مرضية عند الله إكراماً ليسوع المسيح» (١ بط ٢: ٥).

القديس كيرلّس الأورشليمي

تعيِّد كنيستنا المقدسة في الثامن عشر من آذار لأبينا الجليل في القديسين كيرلس رئيس أساقفة أورشليم الذي كان غيوراً على الإيمان القويم وعاضداً وسنداً للفقراء.

وُلد القديس كيرلس سنة ٣١٤ في أورشليم (القدس) أو ضواحيها، لوالدين تقيّين غرسا في قلبه الإيمان القويم. قضى شبابه في الصلاة والتأمل ودراسة الكتاب المقدس. سامه القديس مكسيموس أسقف القدس كاهناً عام ٣٤٤ وعهد إليه بتعليم طالبي العماد. وبعد وفاة القديس مكسيموس عام ٣٤٨ خلفه القديس كيرلس على كرسي أورشليم إلى أن رقد بالرب عام ٣٨٧. كان طيلة فترة خدمته مدافعاً عن الإيمان ضد أتباع الهرطوقي آريوس الذي أنكر ألوهة الإبن، ونُفي أكثر من مرة بسبب تمسّكه بالإيمان القويم.

لعل أهمّ ما وصل إلينا من مؤلفاته عظاته التي ألقاها على طالبي العماد وعلى المعمَّدين الجدد وهي ثلاث وعشرون. وهذه تُعتبر من «أقدم وأرتب تعليم مسيحي مختصر».

فالمزمعون أن يعتمدوا، الذين

المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِل صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسِهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

كل عمل قام به المسيح كان مدعاة فخر للكنيسة الجامعة، وأعظم المفاخر كلها كان الصليب. وإذ عرف بولس ذلك قال: «وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح» (غلا ٦: ١٤). من العجيب أن المولود أعمى يرى النور في سلوام (يو ٩: ٨). ولكن ماذا يهمّ ذلك عميانَ العالم أجمع؟ إنه لأمر عظيم وخارق للطبيعة أن يقوم لعازر من الموت في اليوم الرابع (يو ١١: ٣٤، ٤٤)، ولكنه حظي بالنعمة وحده، فماذا يهمّ ذلك الذين ماتوا بخطاياهم في العالم أجمع؟ إنه لمعجزة أن يتغذّى خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة (متى ١٤: ٢١، مر ٦: ٤٤، لو ٩: ١٣، يو ٦: ١٠)، ولكن ماذا يهمّ ذلك الذين يتضوّرون جوعاً في العالم أجمع؟ وعجيب أن تُحَلّ امرأة كان قد ربطها الشيطان منذ ثماني عشرة سنة (لو ١٣: ١٠–١٧)، ولكن ماذا يهمّنا ذلك نحن جميعاً المرتبطين بسلاسل الخطايا؟ إن تاج الصليب هو الذي أضاء الذين كان يعميهم الجهل، وحرّر الذين كانوا أسرى الخطيئة، وافتدى البشر أجمعين.

لا تعجب من أن العالم كانوا يسمّون موعوظين، بعد أن يقضوا فترة تمتد إلى ثلاث سنوات يتعلّمون خلالها عن الوصايا والأخلاق والتعاليم المسيحية، يأتون عشية بدء الصوم الكبير برفقة كفلائهم (عرّابيهم) ويسجّلون أسماءهم لدى الأسقف ويدخلون في مرحلة التهيئة الأخيرة لكي يعتمدوا ليلة الفصح المقدس. خلال الصوم الكبير كان يأتي هؤلاء «المستعدون للإستنارة» كل يوم إلى الكنيسة ليستمعوا إلى العظات التعليمية الإيمانية مدة ثلاث ساعات يومياً، وتتلى عليهم الإستقسامات، أي صلوات طرد الشياطين. كانوا يصومون بمشاركة الكنيسة كلها التي تصلّي وتستعد لاستقبالهم. ويوم الخميس العظيم كانوا يستحمّون استعداداً للمعمودية، ثم يقفون أمام الأسقف ويتلون دستور الإيمان ليتم تعميدهم ليلة الفصح ويصير اسمهم «المستنيرون». بعد المعمودية كانوا يأتون يومياً إلى الكنيسة في أسبوع التجديدات ليسمعوا العظات الأسرارية حول الأسرار التي اختبروها: المعمودية والميرون والإفخارستيا.

إذاً، ما وصل إلينا من مؤلفات القديس كيرلس هو العظات التعليمية لطالبي العماد والمعمَّدين الجدد، وتقسم إلى عظة مقدمة يشرح فيها أهمية العماد وضرورة الإستعداد له، تليها ثماني عشرة عظة يشرح فيها كيفية الإستعداد للإستنارة المقدسة وضرورة التوبة، كما يشرح معنى الإيمان مستنداً إلى أمثلة من شخصيات الكتاب المقدس (إبرهيم، بولس...)، ويشرح بالتفصيل دستور الإيمان والعقائد الواردة فيه أيضاً إستناداً إلى الكتاب المقدس. ثم لدينا خمس عظات أخيرة تلقى على المعمَّدين طيلة الأسبوع بعد معموديتهم يشرح فيها مختلف الطقوس التي اختبروها في المعمودية والميرون، إضافة إلى شرح للقداس الإلهي.

يُذكر انه في عهد أسقفية القديس كيرلس الأورشليمي تم بناء معظم الكنائس في الأماكن التي حصلت فيها الأحداث الخلاصية أثناء حياة ربنا يسوع المسيح على الأرض: في الجلجلة والقبر المقدس وبستان الزيتون وبيت عنيا وبيت لحم وغيرها من الأماكن المقدسة. جاء بناء هذه الكنائس ليلبّي حاجة الحجاج الذين وفدوا إلى الأراضي المقدسة بعد حصول الكنيسة على السلام.

من الأمور المهمة التي ترتبت في عهد قديسنا خِدَم الأسبوع العظيم المقدس التي وضعت أيضاً لمرافقة الحجاج الذين كانوا يقصدون الأراضي المقدسة لتعييد الفصح. فرتبت الكنيسة الخِدَم الإلهية لمرافقتهم من سبت لعازر إلى الفصح. من المهم أن نوضح أن ترتيب إيقاع هذه الخِدَم في القرن الرابع مشابه تماماً لما نقوم به حالياً في الكنيسة الأرثوذكسية في الأسبوع العظيم. أما من ناحية فحوى هذه الخِدَم فلا تتوافر المخطوطات القديمة حوله، إنما فقط حول الشكل. لعل أبرز مَن كتب في وصف ما يحدث خلال الأسبوع العظيم في أورشليم كانت الراهبة الإسبانية إثيريا (أو ايجيريا)، وكانت في رحلة حج إلى الأراضي المقدسة وعاشت هناك ثلاث سنوات في أواخر أسقفية القديس كيرلس، وكتبت لأخواتها الراهبات في إسبانيا تخبرهم بتفاصيل حياة الكنيسة الليتورجية في أورشليم، ومنها نعرف التفاصيل التي ذكرناها

أعلاه في ما يختص بالموعوظين، المستعدين للمعمودية، وتعليمهم وتسجيل أسمائهم وحياتهم لمدة أربعين يوماً، إضافةً إلى ما يخص الصيام وأنواع الطعام، فتخبرنا إيثيريا انهم «لا يتناولون من الخبز ولا قطعة صغيرة، ولا زيتاً، ولا أي شيء يأتي من الشجر، بل فقط ماءً وقليلاً من حساء الطحين...».

في ما يلي بعضٌ من عظات القديس كيرلس التي ألقاها على المستعدين للإستنارة في إطار استعداداتهم لهذا الحَدَث العظيم في حياتهم: «يا تلاميذ العهد الجديد، يا مَن يشتركون في أسرار المسيح، الآن بالدعوة، وعمّا قليل بالنعمة، إصنعوا لكم قلباً جديداً وروحاً جديداً (حز ١٨: ٣١)، حتى تعمّ السعادة السموات. لأنه إذا كان هناك فرح من أجل خاطئ واحد يتوب، على حدّ قول الإنجيل (لو ١٥: ٧)، فكم بالحري يسعد سكّان السماء بخلاص مثل هذا القدر من النفوس! وبما أنكم اندفعتم في الطريق الصالح الحق، فاشتركوا بورع في سباق التقوى. فالواقع ان ابن الله الوحيد يتوق إلى افتدائكم، إذ هو يقول: تعالوا إليّ يا جميع المتعَبين والمثقَلين، وأنا أريحكم (مت ١١: ٢٨). يا مَن يلبسون ثوب المعاصي المزري، ويا من تغلّهم سلاسل خطاياهم الشخصية، إسمعوا صوت النبيّ القائل: اغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرّ أعمالكم من أمام عينيّ (اش ١: ١٦)، حتى تصرخ لكم الأجواق الملائكية: طوبى لمن غُفرت معصيته وسُترت خطيئته (مز ٣٢: ١). أنتم يا مَن أشعلوا حديثاً مصابيحَ الإيمان لا تدعوها تنطفئ بين أيديكم حتى يهبكم – ذاك الذي فتح قديماً باب الفردوس للص بسبب إيمانه (لو ٢٣: ٤٣) على جبل الجلجلة – أن ترتّلوا نشيد العُرس.

إن كان هناك بينكم عبد للخطيئة، فليستعدّ بالإيمان للميلاد الثاني الحرّ في التبنّي، وهو بعد تحرّره من أسوأ العبوديات، وهي عبودية الخطيئة، وحصوله على عبودية الرب الطوباوية، يصبح أهلاً لميراث ملكوت السموات. فاخلعوا إذاً الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، والبسوا الإنسان الجديد الذي يتجدّد للمعرفة على صورة خالقه (أف ٤: ٢٢–٢٤، كو ٣: ١٠). اقتنوا عربون الروح (٢ كور ٥: ٥) بالإيمان، حتى يقبلوكم في المظالّ الأبدية (لو ١٦: ٩). اقتربوا بإيمان من الختم السرّي حتى يعرفكم الرب، وتُحصَوا بين قطيع المسيح المقدس الروحاني، وتجلسوا عن يمينه وترثوا الحياة المعدّة لكم. أمّا هؤلاء الذين لا يزالون متمسّكين بخطاياهم، فسوف يكونون عن يساره (مت ٢٥: ٣٣)، لأنهم لم يقتربوا من نعمة الله التي يمنحها المسيح في غسل الميلاد الثاني. اني لا أتكلّم على الميلاد الثاني للأجساد، بل على الميلاد الثاني الروحي للنفس (راجع يوحنا ٣). إن الأجساد يلدها والدانا المنظوران، ولكنّ الأرواح تولد ميلاداً ثانياً بالإيمان، لأن الروح يهبّ حيث يشاء (يو ٣: ٨) وعندئذ تسمعه إن كنت تستحقّه، أيها العبد الصالح الأمين (مت ٢٥: ٢٣)، متى وُجدتَ بلا لوم الضمير».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

بأسره قد افتُدِيَ، لأن الذي مات لأجلنا لم يكن مجرّد إنسان، إنما ابن الله الوحيد. إن خطيئة إنسان واحد، وهو آدم، قد استطاعت حقاً أن تُدخل الموت إلى العالم (رو ٥: ١٧). فإذا كان بعصيان واحد ساد الموتُ العالم، فكيف بِبِرّ واحد لا تسود الحياة بالأكثر؟ (رو ٥: ١٧). وإذا كان آدم وحواء طُردا من الفردوس بسبب شجرة الأكل (تك ٣: ٢٢–٢٣)، أفلا يدخل المؤمنون الفردوس بسهولة أكثر بسبب شجرة يسوع؟ إذا كان الإنسان الأول المجبول من التراب أدخل الموتَ الشامل، أفلا يستطيع الذي جبله من التراب (تك ٢: ٧)، وهو الحياة (يو ١٤: ٦)، أن يمنحه الحياة الأبدية؟ إذا كان فنحاس قتل الفاسق بدافع الغيرة فأخمد غضب الرب (عدد ٢٥: ٨، ١١)، أفلا يرفع يسوع الغضب عن البشر من دون قتل أحد، بل ببذل نفسه عنهم؟ (١ تيم ٢: ٦). فلا نخجلنّ من صليب المخلّص، بل فلنفتخر به لأن عقيدة الصليب «معثرة لليهود وحماقة للوثنيين». وأما لنا فهي سبيل الخلاص (كو ١: ٢٠).

القديس كيرلس الأورشليمي